الاقتصاد

ليون لروابوليو الاقتصادي الفرنسوي

في الانسان كما في سائر أنواع الحيوان سائق طبيعي يدعوه أبداً الى السعي وراء مايحفظ حياته ويطيل حبل أجله . فحب الحياة أمر فطري ولذلك احتاج الانسان حرصاً على بقائه الى طعام يقوته ولباس يدفع عنه عوادي الحر والقر ومسكن يأوي اليه وغير ذلك

كان الانسان أول أمره قليل الحاجات جداً وذلك أيام كان يهيم في الفلوات والآجام ويقتات من الثمار الطبيعية او مما يصيده من الحيوانات والطيور والاسماك ويكتسي من جلود هذه الحيوانات ويأوي الى المغاور والكهوف وأصول الاشجار الضخمة والادواح الباسقة

أما الآن فما أكثر حاجات الانسان ! فان تقدم المدنية ونمو العمران أحدثا أشياء كثيرة أصبحت اليوم من ضروريات الحياة . فبعد أن كان الانسان في أدواره الاولى لا يعاني كبير أمر في سد حاجاته غدا الآن مقيداً ينوء تحت أعباء الحياة ومطالبها وليس في حاجاته مايسهل نيله سوى استنشاق الهواء وشرب الماء وما خلا ذلك فمحتاج الى فرط كد وعناء . تنوعت المآكل والملابس وتغيرت المساكن وتزايد حب الزينة والظهور في مظاهر الأبهة والتفخل وعظم الميل الى التلذذ بامور مادية ومعنوية وأدبية على ضروب شتى لا يحصرها حد ولا يحصيها عد

وبديهي ان الرجل في المجتمع الانساني لا يستطيع نيل مطالبه العديدة الا بسعي خاص لحصولها أو بدفع ما يقابلها من المال الذي هو ثمرة عمله

أو ثمرة عمل سابق أتى به من قبله . وكيف كان المال فالحصول على المطالب لا يمكن الا من طريق السعي والعمل . ومهما اختلفت أعمال البشر وتنوعت فانها ترمي الى غاية واحدة وهي سد مطالب الحياة . وقد حقق أهل الاختصاص في هذا الشأن ان الاعمال المشار اليها خاضعة لقوانين عامة . فكما ان الأجسام وقوانين الاجسام تابعة لقوانين عامة مقررة في العلم الطبيعي فكذلك مساعي الانسان المصروفة في تقاضي الاشياء النافعة له خاضعة لقوانين عامة . وهذه القوانين هي موضوع علم الاقتصاد ولذا يقال في تعريف هذا العلم إنه علم تعرف به القوانين العامة التي تبين مبلغ تأثير مساعي الانسان في الحصول على المواد المختلفة والانتفاع بها مما لم تمنحه الطبيعة عفواً . ويمكن إرجاع هذه القوانين الى أصل واحد وهو ان كل انسان يجتهد لنيل قدر وافر من المنافع مقابل قليل من السعي وسر ذلك ان الانسان ميال بالطبع الى الراحة والكسل ولولا دافع حب الحياة وطول البقاء لما أجهد نفسه في شيء من أمر معاشه وعند ما يبتغي شيئاً من المواد النافعة للقيام بحاجاته مباشرة أو بالواسطة فانه يبحث عن الطرق التي تقلل من تعبه وتوفر له النفع والفائدة

واذا أمعنا النظر في هذا الاصل نراه منبعثاً من عاطفة «حب الذات» المنطوية في جوانح كل إنسان . وهذه العاطفة هي ولا جرم أعظم العواطف عملا وأشدها تأثيراً . فهي المحرك الاكبر في غالب الاعمال ، والباعث الاقوى في أكثر المشاريع ، والمؤثر الاعظم في جل الامور ان لم نقل في كلها . ولهذه العاطفة المكانة العليا في الاقتصاد والاثراء وتوفر الرفاهية وتقدم الحضارة .

ظن بعضهم أن عاطفة النفع الذاتي هي الأنانية بعينها المضادة لحب الغير فحكموا بوجوب عدم الالتفات لتلك العاطفة جرياً على ما تقتضيه قواعد الاخلاق. ولا شك ان الأنانية من الرذائل التي يجب على كل حال اجتنابها ولكن عاطفة حب الذات والنفع الشخصي هما غير الانانية وبينهما بون شاسع.

فالأنانية ان يضع الانسان نفسه مكاناً علياً وينزل غيره في دركات الانحطاط فيرى احتقار الغير والازدراء به أمراً طبيعياً ويرى نفسه خليقة بالتجلة والتعظيم دون سواها. فينشد المنافع والملاذ من أي طريقة كانت مشروعة أو غير مشروعة اضرت بغيره او لم تضر. ومن تستحكم فيه هذه الخصلة يكون قلبه كالحجارة او أشد قسوة وطبعه شر الطباع لا تثنيه شفقة، ولا تعطفه رحمة، ولا تستميله مروءة ولا نخوة.

أما عاطفة النفع الشخصي فهي شعور يدفع الانسان الى استجلاب النفع لذاته من طرقه المشروعة بدون ان يلحق ضرراً بغيره ويرق لمصاب سائر الناس في غالب الاحيان ويتصدق من ثمرة مساعيه بما تهديه اليه نفسه. ولا يتجرد امرؤ في العالم عن هذه العاطفة لانها من نتائج حب الحياة الطبيعية. غير ان تقدير النفع الشخصي يختلف باختلاف الاشخاص والازمان والامزجة والمحيط والفكر والتربية وغير ذلك. ومن زهدوا في الدنيا واختاروا عيش التقشف في صوامع التعبد فانهم لم يريدوا بذلك الا تحصيل نفع أعظم ونيل لذة أسمى من منافع الدنيا وملاذها. وما صلاتهم وصيامهم الا رجاء الخلاص من العذاب الاليم وامل الحصول على لذة النعيم الابدي الذي وعد به المتقون. ولا ينافي حب النفع الذاتي حب الخير للغير وقد

يشترك الانسان في معظم الأحايين. ودليل ذلك ان الانسان أكثر مايفكر في مصالح عياله ورفاهيتهم وضمان مستقبلهم. والاسرة منشأ القومية فمن أحب نفسه حباً خالصاً أحب عياله وأسرته ومن أحب عياله. حباً شريفاً أحب مواطنيه وقومه. ولذلك كان حب الذات عاطفة شريفة تنافي الانانية بتاتاً.

والانسان مدفوع بهذا العامل لتقاضي حاجياته. والحاجيات من أهم المباحث التي يدور عليها علم الاقتصاد. وهي كما هو معلوم كثيرة متنوعة جداً تزداد بارتقاء الحضارة وتقدم العمران. حتى ان بعضهم حد الحضارة ببلوغ الحاجات درجة الكمال ولعل كثيراً من الناس يتساءلون: هل تقليل الحاجات أنفع للمجتمع الانساني أم تكثيرها؟

قال أحد الفلاسفة القدماء: اذا أردت أن تكون ذا ثروة وغنى فقلل من حاجاتك ومطالبك بدلا من أن تسعى في تزييد أموالك. وقال أرسطو: ما أقل القدر الذي يكفي لعيش الانسان عيشة راضية. وقامت طائفة من الحكماء في هذا العصر باحياء معالم الحكمة القديمة فاتخذت هذه الاقوال دليلا مهماً وصارت تحث على الزهد والقناعة وجعلت تبدي أفكاراً كلها خيال في خيال واليك جملة من أقوالها:

ما كانت حياة العظام الذين قاموا بامر الانسانية والفضيلة مثل المسيح وبوذا وزردشت وسبينوزا حياة سعيدة الا لانهم كانوا زاهدين قنوعين يحيون حياة روحية فهؤلاء ولا مراء خلقاء بان يتخذوا مثالا حقيقياً للاقتصاد

يقول بوليو:

اني لا أخشى من التصريح بان هذه الافكار الخيالية ليست على شيء من الاهمية في نظر العلم والمدنية. نعم ان من مقتضى قواعد الاخلاق ان

نجعل نصب أعيننا مثال المسيح وبوذا وغيرهما من الزهاد المتقشفين كي يعدل فينا حب الثروة المفرط ويعرف الفقراء الذين خانتهم الحيل وأعوزتهم الوسائل ان سعادة الدنيا لا تتوقف على الثروة والمال بل قد يمكن للمرء ان يعيش مع الفقر عيشة طيبة اذا رضي وقنع . بيد أنه لا يتأتى للبشر كافة أن يعيشوا مثل المسيح وبوذا ولو فعلوا ذلك لما تيسر الوصول الى هذه الدرجة السامية من الرقي والحضارة — انتهى بتصرف يسير

دمشق عبد الوهاب . ا

أدعياء العرفان

ماساءني من زماني إلا بنوه واهله
فلا ترى من بنيه إلاّ الذي ساء فعله
ومدعي العلم إفكاً كأنما العلم جهله
وقائل إن فضلي وفرٌ ولم يبد فضله
وزاعم ان موت الـ معافين لاشاه بذله
وحاكم وهو يتلو أنا الذي عمّ عدله
وفاخر في مزايا يمتاز فيهن أصله
وقائل إن شعري حزن الكلام وسهله
وذو اليراع ينادي أنا الذي ليس مثله
اذا هززت يراعي ريع الشآم واهله
وذو التنفج يهذي ان السماكين نعله (١)

---

(١) ذو التنفج [illegible]

حيات قوم منامهم غدر الوداد وحمله (١)
ودأبهم في البرايا غش اللبيب وختله (٢)
فما أشد افتئات الانسان ان ضل عقله (٣)
وما أضر افتخار المرء الذي ساء فعله (٤)

القاهرة حسين وصفي رضا

ريح سموم (٥)

وربك القيوم ، ماالذي تظنه يدوم ، صوت سمعته في الكروم ، وقد مرّت عليها ريح سموم ، فجفت الارض وعادت جزرة كثيرة الكلوم ، وسقطت الجفان عن فسائلها ، وفزعت أوراقها الى الغيوم ، صوت صارخ من وراء النجوم ، ماالذي تظنه يدوم؟

من صروح زاهية فخيمة ، من رياض زاهرة كريمة ، من بروج شاهقة عظيمة ، من معامل حديثة أو قديمة ، ماالذي تظنه يدوم.

من أسراب منورة تحت الانهار ، من ارتال فيها تدفعها الكهربائية او يجرها البخار ، من بوارج ماخرات في البحار ، من أساطيل تنذر بالدمار ، من معالم في الامصار والاقطار ، ما الذي تظنه يدوم

---

(١) الحيات واحدها حية : الحالات . حمله : خيانته ومنه في القرآن « فأبين أن يحملنها » أي يخنها . (٢) ختله : خداعه عن غفلة . (٣) الافتئات هو الابتداع . (٤) الافتحار : اتيان المرء بالكلام من عند نفسه

(٥) هذا الاسلوب في الانشاء العربي غير مألوف عندنا وهو مشهور عند الافرنج بالشعر المنثور أي صوغ المعاني الشعرية في القوالب النثرية وكاتب هذه الرسالة هو على ما نعلم أول من ابتدع هذه الطريقة في العربية كما أخذ ينقل الى الانكليزية المعاني العربية فيما يتخيره من آدابها على نحو مافعل في نقل رباعيات ابي العلاء المعري وغيرها